لَيْلَةُ السَّلاَم

عَـادَ لِلشّـــدْوِ. وَهْـوَ عَـــوْدٌ حَمِيـدُ
طَـــائِرٌ فِي رِيَـــاضِكُـم غِـــرِيـــدُ !
عَـــادَ بَـالشِعْـــرِ كَيْ يُـرَدّدَ مَـــالَمْ
يُبْلِـــهِ فِي شِفَـــاهِنَـــا التّـــرْدِيـــدُ !
لَحْنُـــهُ فِي فَمِ الـزَّمَـــانِ زَغَـارِيـــ
ـــــدُ وَفِـي مِلْء مَسْمَعِيـــهِ نَشِيـــدُ
سَـابِحـاً فِي سَنَـــاكَ وَهْـوَ فَضَـاءٌ
لَيْسَ لِلسَّـــــابِحِينَ فِيـــهِ حُـــدُودُ !
أنْتَ أَلْهَمْتَـــهُ وَلَـــوْلاَكَ مَـــا كَـا
نَ سَيَشْـدُو بِـــرَوْضِكُم أوْ يُجِيـدُ !
وَشُـدَاةُ القَـرِيضِ تَخرَسُ كَـالطَّيْـ
ـــرِ إذَا لَـمْ يُتَح لَهَـا تَغْـــرِيـدُ !
رَاعَـــهُ مِنْكُ مَـــا تَشِيـــدُ وَتُحْيِي
مِن تَلِيـــدٍ يَغَـــارُ مِنْـهُ الجَـدِيـدُ !
فِي سِبَـــاقٍ مَعَ الـــزَّمَـانِ وَشَـــوْقٍ
لِلْمَعَـــالِي تَضِيقُ عَنْـــهُ الجُهُـــودُ !
مُنْجَـــزَاتٌ وَمُنْشَـــآتٌ وَصَـــرْحٌ
كُلّ يَـــوْمٍ مُدَعَّـــمٌ وَمَشِيـــدُ

وَصَحَـــارٍ جَـــرْدَاءُ أصْبَحْنَ جَنّـــا
تٍ وَوَاحـاً تَفُـــوحُ فِيهَـا الـــوُرُودُ !
وَرَيَـــاضٌ لِلْعِلْـمِ فِيهَـــا عُقُـــولٌ
وَاعِـــدَاتٌ عَطَـــاؤهَـــا مَـــوْعُـــودُ
تَتَحَـدَّى الخُطُـوبَ بِـالْعَـزْمِ وَالفِكْـرِ
وَيَـــدْنُـــو مِنْـكَ القَصِيّ البَعِيـــدُ !
فِي سَمَـــاء العُـــلاَ نُجُـــومٌ وَلَكِنْ
أنْتَ فِيهَـا نَجْمُ المَعَـــالِي الفَـرِيـدُ !
لاَيُمَـــارِي فِيمَـــا تُخَططُ لـــلأجْـــ
يَـــالِ إلاّ مَكَـــابِـــرٌ أوْ جَحُـــودُ !
وَأرَى الشّمْسَ فِي غِنىً عَـنْ عيُـونٍ
لاَ تَـرَاهَـا كَمَـا يَـــرَاهَـا الـوُجُـودُ !
كُلَّمَـــا اغْتَـــاظَ حَـاسِـــدُوكَ رَأيْنَـــا
وَاهِبَ المُلْكِ فِـي عَطَـاكَ يَـــزِيـــدُ !

* ● *

مَـــا أرَى فِي مَجَـــالِسِ النُّـــورِ إلاَّ
عَـرَفَـــاتٍ تَسْعَى إلَيْهَـا الـــوُفُـودُ !
ظَـــامِئَـــاتٍ إلَى مَنَـــاهِلَ كَم يَعـــ
ـــذُبُ فِيهَـا لِلْـــوَارِدِينَ الـــوُرُودُ !

خَـــاشِعَـاتٍ لِلّـــهِ يَشْغَلُهَـا الحَمْـــ

ـــدُ وَيُحْيِي أنْفَـــاسَهَـــا التّمْجِيـــدُ

مُصْغِيَـــاتٍ إلَى أحَـــــادِيثِ طَـــهَ

وَهْيَ دُرٌ بَيْـنَ الشِّفَـــاهِ نَضِيـــــدُ

أنْتَ أحْيَيْتَهَـــــا وَأعْلَيْـتَ أقْـــــدَا

رَ ذَوِيهَـــــا، وَأنْتَ نِعْـمَ الحَفِيـــــدُ

فَـــاسْتَعَـــادَت رُوَاءَهَـا وَسنَـــاهَـــا

وَتَجَلَّى جَـــــلاَلُهَـــــا المَعْهُـــــودُ

شِئْتَهَـــا صَحْـــوَةً وَبَعْثـــاً فَكَـــانَت

يَقْظَـــةً لَيْسَ مِـنْ وَرَاهَـــا رُقُـــودُ !

لَنْ تَضِلَّ الهُـــدَاةُ بَعْـدُو فِي المَغْـــ

ـــرِبِ هَـــادٍ إلَى الفَـــلاَحِ يَقُـــودُ !

وَمَنَـــــــارٌ أضَـــــاءَ وَاللَّيْـلُ دَاجٍ

مَـــا لِـــدَاعٍ لِلّـــهِ عَنْـــهُ مَحِيـــدُ

بُـــورِكَت لَيْلَـــةٌ تَنـــزلَ فِيهَـــا

بِـــالهُـــدَى وَالتّقَـــى كِتَـــابٌ مَجِيـــدُ

قُمْتَ فِيهَـــا مُصَلِيـــاً تَتَحَـــرَّى

لَحَظَـــاتٍ يَطِيبُ فِيهَـــا السُجُـــودُ !

وَوَرَاكُم شُيُـــوخُ عِلْمٍ عَلـى مَـــا

قَـدْ بَـــذَلْتُمْ مِنَ الجُهُـــودِ شُهُـودُ !

ضَـــاقَ عَنكَ البَيَـــانُ وَهْـوَ فَضَـــاءٌ
جِـــدٌّ رَحْبٌ وَإِرْتَـــدّ عَنكَ المُجِيـــدُ
أنْتَ دُنْيَـا مِنَ الفَضَـــائِلِ مَـا لِلشِّـــ
ـــعْرِ مَـرقـىً لأوْجهَـا أوْ صُعُـود !
شِيمُ المُلْـكِ مِن أرُومَـــــةِ آبَـــاء
كِـــرَامٍ قَـــدْ أوْرَثَتهَـــا الجُـــدُودُ
مَنْ أقَـامُـوا عَلَى الخُيُـولِ عُـرُوشـاً
ثُمَّ مَـــاتُـــوا وَهُم عَلَيْهَـــا قُعُـــودُ !
وَطَنِيٌّ لَـــوْ كُنْتَ تَعْبُـــدُ غَيْـرَ اللَّـــ
ـــهِ كَـــانَتْ بِـــلاَدَكَ المَعْبُـــودُ !
مَـــا عَـــرَفْنَـــاكَ فِـي المَـــوَاقِفِ إلاَّ
بَطَـــــلاً عَنْ قَـــرَارِهِ لاَيَحِيـــــدُ !
خَيْـــرَ مَنْ قَـــادَ لِلْعَظَـــائِمُ شَعْبـــاً
هُـوَ فِي المُكْـرُمَـــاتِ نِعْمَ المقُـودُ !
لَمْ تُخْفِكَ الأهْـــوَالُ يَـــوْمَ اكفَهَـــرّت
وَتَخَلّىٰ عَن خَـوضِهَـا الـرعْـديـدُ !
ثَـــوْرَةٌ قَـــادَهَـــا أبُـــوكُم فَشَبّت
وَدَمُ الشّعْبِ فِي لَظَـــاهَـا وَقُـــودُ !
زَمْجَـرَت كَـالرّعُـود فِي كُلّ أُفْـــقٍ
وَرَوَاسِيَ الجِبَـــالِ مِنْهَـــا تَمِيـــدُ !

عَلَّمَ الجَـــالِسِينَ فَـــوْقَ عُـــرُوشٍ
أنْ يُضَحُّـــوا بِعِـزّهَـــا وَيَجُـــودُوا !
عَلَّمَ الحَـــاكِمِينَ كَيْفَ يَصِيـــرُ الـــ
ـــحُكْمُ حُباً وَكَيْفَ تُـرعَىٰ العُهُـودُ !
يَـوْمَ عَادَ العَظِيمُ فُـــكَّت عَنِ الشّعْـــ
ـــبِ المعَنَّـىٰ سَـــلاَسِلٌ وَقُيُـــودُ
رَفَعَ الـرّأسَ عَـالِيـــاً بَعْـدَ مَـا كَـانَ
يُعَـــانِـي مِمَّـــا تُعَـــانِـي العَبِيـــدُ !
وَإذَا الشّعْبُ بَعْـدَ عَهْـدٍ مِنْ الحِجـــ
ـــــرِ طَلِيقٌ وَسَيِـــدٌ لاَمُسُـــــودُ
أَلْبَستـــهُ يَـــدَاكَ مِن حُلَل العِـــزّ
بُـــرُوداً وَجلّلْتـــــهُ السعُـــودُ
فَـاسْتَعَادَ الصّحْـرَاءَ وَاقْتَحَمَ الوَهْـــ
ـــمَ فَوَلّىٰ العِـدَىٰ وَغِيظَ الحَسُـودُ !
وَحَمَـــاهَـــا مِنَ الخَـــوَارِجِ أُسُـــدٌ
أيْنَ مِنْهَـا فِي الغَـابِ تِلْكَ الأسُـودُ !
أُشْرِبَت حُبّ أرْضِهَـا وَهْيَ فِي الغَيْـ
ـــبِ وَلَـمْ يَسْلُ شَيْخُهَـا وَالـوَلِيـدُ
ضَـــرّجَـت رَملَهَـــا بِأزْكَـى دِمَـــاء
لَم تُخضّـب بِمِثْلِهَـــا قَبْـلُ بِيـــدُ !

وَانْجَلَـــىٰ لَيْـــلُ أَجْنَبِـــي دَخِيـــلٍ
وَتَـــوَلّتْ أَيَـــامُـــهُ وَهْيَ سُـــودُ !
فَغَبِيٌّ مَنْ يَنْطَحَ الصّخْـرَ كَـالـوَعـ
ـــلِ وَلَم يَـــدْرِ أَنَّـــهُ جُلْمُـــودُ !
وَإِذَا اعتَلّتِ النُّفُـــوسُ فَـــلا طِبٌّ
حَكِيـمٍ وَلاَ عِـــــلاَجٌ يُفِيـــــدُ !

* ● *

يَـــا سَلِيلَ الأُبَـــاةِ دَامَ لَكَ المَجْـــ
ـــدُ كَمَـا نَـــرْتَجِي وَطَـابَ العِيـدُ
وَهَنِيئـــاً بِـــالْغَيْـثِ بَعْـدَ جَفَـافٍ
مَـاتَ فِيـــهِ الثّـرَىٰ وَجَـفّ العُـودُ !
عِشْتَ لِلـــدّينِ وَالعُـــرُوبَـــة حَتَّى
يَبْلُغَـــا فِي ظِـــلاَلِكُم مَـــا تُـــرِيـــدُ
وَسَـــــلاَمٌ عَلَى أَبِيـكَ الـــــذِي لَمْ
يُجْـــزِهِ عَـنْ فِـــدَاهُ إِلاَّ الخُلُـــودُ
رَاتَعـاً فِي جَنَـانِـــهِ الخُضْـرِ مُـرْتَـا
حـــاً رَضِيّـــاً بِمَـا يَنَـــالُ الشّهِيـــدُ
وَرَعَى اللّـــهُ الفَـــرْقَـــدِينَ وَعُمَـــر
لَـــكَ ـ يَا سَـــيّـــدَ البِـلاَدِ ـ مَـدِيدُ !